خذوا حذركم

مدخل

لا نعرف المصدر الحقيقي لمصطلح "الأمنيَّات"، ولن نسعى كثيرا لتتبع أصله، وهو بالتأكيد ليس جمعا لمصطلح (الأمن)، وإنما يفهم من سياق استخدامه العام أنه إشارة إلى مجموع الإجراءات التي تتخذها المنظمات والأفراد لتحقيق "الأمن".

ونظرا لأن العدو الأكبر للمجاهدين منذ عقود يتمثل بأجهزة المخابرات التابعة لحكومات الطواغيت والدول الصليبية، التي تستعمل في الغالب أساليبها المعتادة في العمل من التجسس والاختراق والاغتيالات وجمع المعلومات، فقد حظيت "الأمنيات" بأهمية كبيرة في عمل المجاهدين، ونصائح أمرائهم.

"الأمنيات".. بين الوقاية والدفاع والهجوم

"الأمنيات" التي هي إجراءات وقائية بالدرجة الأولى، أما إذا استطاع العدو كسر هذه الإجراءات فإن الجانب العلاجي (الدفاعي) يكون مكلفا، وقليل الفائدة أو عديمها أحيانا.

وعندما نصف "الأمنيات" بأنها إجراءات وقائية، أي أنها تتخذ لمنع العدو من الوصول إلى الهدف الذي نريد تأمينه، سواء كان هذا الهدف فردا من المجاهدين، أو مقرا لهم، أو معلومة تخصهم، أو موادا محفوظة في مكان ما عندهم، وأنه باتخاذ هذه الإجراءات فإننا نتقي تبعات وصول العدو إلى الهدف.

فالعدو لا يستطيع أن يقصف مقر اجتماع للمجاهدين لم يتمكن من معرفة موقعه الدقيق أو التقريبي، فالوقاية من القصف في هذه الحال قد يكفي لها إخفاء هذا الموقع عن أعين جواسيسه ووسائطه المختلفة لجمع المعلومات، كالطائرات المسيرة، وأجهزة التقاط الإشارات اللاسلكية، وما شابه.

والعدو سيستعد بشكل أفضل لصد هجوم للمجاهدين، إذا بلغته معلومات عن هذا الهجوم، كتوقيته، أو حجمه، أو هدفه... ولوقاية هذا الهجوم من مواجهة قوية مع المدافعين، فإن الإجراءات تقتضي منع العدو من الحصول على معلومات حقيقية عن خطة الهجوم، وذلك من خلال (التعمية) وهي منع الحصول على المعلومات الحقيقية مطلقا، و(التورية) التي تتمثل بالتمويه على المعلومات الحقيقية بأخرى مزورة، تقلل من ثقته بالمعلومات الحقيقية، أو تدفعه إلى الثقة بالمعلومات المزورة.

والعميل للمشركين لن ينجح في استهداف أحد المجاهدين بعبوة ناسفة يضعها في طريقه إن لم يكن لديه معلومات عن خط سير هذا المجاهد وتحركاته اليومية، وبذلك فإن اتخاذ هذا المجاهد لبعض الإجراءات التي تمنع من توقع تحركاته، كتنويع طرق المسير ووسائطه، وتبديل مواعيد التحرك باستمرار، ستجعل قضية تصيُّده بالغة الصعوبة، تحتاج إمكانيات مضاعفة من العدو لتوزيع جهده على كل المواقع التي يمكنه أن يكمن فيها لهذا المجاهد.

ومع أن تركيزنا حاليا سيكون على الجانب الوقائي من العمل الأمني، فلا بأس بالتذكير أن لهذا العمل جوانب دفاعية أيضا، تتمثل بإجراءات يجب اتباعها في حال تمكن العدو من التغلب على إجراءاتنا الوقائية، وبالتالي منعه من الاستفادة من هذا الاختراق في إلحاق الأذى بالمجاهدين أو أعمالهم ومصالحهم، كما أن هناك جانبا هجوميا في العمل الأمني، يقوم على السعي إلى اختراق الإجراءات الأمنية للعدو، وكسر دفاعاته الأمنية، من أجل تحقيق أهداف العمل الجهادي.

أهمية الإجراءات الأمنية

وتزداد أهمية هذه الإجراءات لا لفائدتها الوقائية الابتدائية فحسب، ولكن لقلة إمكانيات المجاهدين، وعدم التوازن في القوى بينهم وبين أعدائهم غالبا، وافتقارهم إلى وسائل الردع، التي تمنع العدو من الاستفادة من المعلومات التي يتوصل إليها في تنفيذ فعل معادٍ، كتدمير المواقع، واغتيال الأفراد، والتحكم بالقرارات والخطط.

فمخابرات الدول تمتلك كثيرا من المعلومات عن تحركات خصومها من رجال المخابرات المعادية لها، ولكنها تقف عاجزة عن القضاء عليهم بالقتل، أو اعتقالهم للحصول على ما بأيديهم من معلومات، لأن هذه الأفعال قد تقود إلى مواجهة مباشرة مدمرة مع الدول الأخرى، وبذلك يمنعها مانع الردع من الاستفادة من المعلومات في اتخاذ قرارات حاسمة، وهذا ما نجده ربما بصورة أوضح في تتبع المخابرات للمعارضين المقيمين في بلدان أجنبية، فإنها تكتفي غالبا بالسعي للتجسس عليهم، ومعرفة نواياهم، وإحصاء المرتبطين بهم، دون قدرة على تنفيذ عمل مادي ضدهم، لما في ذلك من تأثير على العلاقات مع الدول التي تستضيفهم.

كما أن وسائل الحماية المتوفرة بيد المجاهدين ضعيفة نسبيا مقارنة بوسائل الهجوم المتوفرة في يد أعدائها، وخاصة ما يتعلق منها بالوسائل الجوية.

وإذا نظرنا إلى تجربة الجهاز الأمني للدولة الإسلامية، فإنه قد تمكن -بفضل الله- خلال السنوات الماضية من شلِّ قدرة الخلايا الأمنية المعادية على تنفيذ أي هجمات داخل أراضي الدولة الإسلامية إلى حد كبير، ولذلك انحصر عملها بتقديم المعلومات وإرسالها إلى أجهزة المخابرات العالمية لتتولى التنفيذ عن طريق سلاح الجو الذي استهدف بكثافة كل الأهداف التي قدَّم الجواسيس المعلومات عنها، مستهدفين الإخوة بالقتل، ليأسهم من تحقيق اختراق على الأرض يمكنهم من اعتقالهم والحصول منهم على معلومات ثمينة بالنسبة إليهم، وحتى عندما اضطرتهم أهمية بعض الأهداف إلى السعي لتحقيق ذلك، فإنهم اعتمدوا على قوات عسكرية خاصة، محمية بسرب من الطائرات المقاتلة، وكان التنفيذ في المناطق الصحراوية غالبا، ومع ذلك كان النجاح محدودا، لتفضيل الإخوة القتل على الاستئسار للمشركين.

وبذلك تتبين أهمية الإجراءات الأمنية في حماية الأخ المجاهد، وحماية العمل الجهادي، وعموم مصالح الدولة الإسلامية، من اعتداءات المشركين، فهي أهم الأسلحة التي بيده، إن لم تكن السلاح الوحيد أحيانا.

وتزداد أهمية هذا السلاح الوقائي عند المجاهدين العاملين في ديار الكفر، تحت أعين وسمع المخابرات الكافرة، حيث يضطر المجاهد إلى التحرك في أوساط معادية غالبا، تلتقط أي إشارة خطر لتقوم بإيصالها إلى المخابرات، التي حولت عامة الناس في تلك البلدان إلى جواسيس فاعلين لها، ينقلون كل شاردة وواردة إلى عملائها، هذا فضلا عن أجهزة المراقبة والتتبع الكثيرة التي نصبتها أجهزة المخابرات في كل شارع، وعلى كل هاتف، ووسط كل تجمع عام.

فهنا يتحرك المجاهد بلا أي سلاح مادي، منعا للاشتباه به، وبذلك فإن مقتله يكون بمجرد انكشافه للعدو، الذي لن يعجزه اعتقاله بأبسط الوسائل، وأقل التكاليف، فلا يكون للمجاهد في هذه الحالة من سلاح يقي به نفسه من الاعتقال، أو القتل، وعمله الذي يشرف عليه من الانكشاف والتخريب، سوى مجموعة الإجراءات الأمنية التي يمنع بواسطتها عدوه من التعرف عليه، أو الوصول إليه، ومن ثم استهدافه بالقتل أو الاعتقال.

علم الأمن

إن "الأمنيات" هي مزيج بين الفطرة، والفن، والعلم، فالأصل أن يكون المجاهد بفطرته حريصا على أمنه وأمن إخوانه والعمل الذي يقومون به عموما، حذرا من أعدائه، لا يأمن جانبهم، ولا يغفل عن التحسب لصد هجماتهم.

كما يمكن للمجاهد أن يكتسب هذه الصفات الحميدة من خلال التجارب التي يمرُّ بها في حياته، أو يمرُّ بها إخوانه، فتتكون لديه بذلك خبرة في وقاية نفسه وإخوانه وعملهم من مساعي عدوه في اختراق أمنهم وتهديدهم، بل والانتقال من الجانب الوقائي إلى الجانب الدفاعي، أو حتى الهجومي الذي يستهدف كسر "أمنيات" العدو، وتحقيق أهداف العمل الجهادي.

والأفضل أن يستبق المجاهد عمله الجهادي بتعلم هذه الإجراءات، فقد صار (الأمن) علما متكاملا اليوم، يدرس في الجامعات والأكاديميات العلمية، وتعطى فيه الدورات والمحاضرات، وقد دوِّن في الكتب والملخصات، كما هو جارٍ في الأجهزة الأمنية التي تعمل لصالح الدول والحكومات، بل وحتى في المؤسسات العاملة على تأمين الشركات والمصالح الخاصة والأفراد.

وإنه من الأفضل أن يُختار للأعمال الجهادية التي يتعرض العاملون فيها لمخاطر أمنية الأفراد الذين يمتلكون إمكانيات ذاتية (فطرية) ملائمة لهذا العمل، ولديهم القدرة على الاستفادة من الخبرات المكتسبة من قبلهم في هذا الميدان، أو اكتساب المعلومات المنقولة إليهم من غيرهم، وفوق ذلك كله أن يكون لديهم القابلية والقدرة، على تطبيق هذه الخبرات والمعارف، لا أن تحفظ عن ظهر قلب، ويعمل بغيرها أو بخلافها.

فما يميز هذا العلم أنه علم تطبيقي، لا يكفي فيه العلم المجرد عن العمل، ولا يكفي أن يعرف المتعلم أن هذا الإجراء يتخذ في ظرف معين، ولا يتخذ في ظرف آخر، أو أن يقر أن هذا الإجراء صحيح، ويجب العمل به، ولكن يجب أن يطبِّق هذا الإجراء فعليا وبالطريقة الصحيحة، فعندها فقط يكون الإجراء مفيدا، أما أن يعرف للحفظ والاستظهار، فإن صفحات الكتب أكثر فائدة في هذا الباب من صدور الرجال.

وقد كانت هناك محاولات عديدة، لتدوين هذا العلم، من قبل بعض المختصين، وسنحاول في هذه السلسلة من المقالات -بإذن الله- أن نكمل ما نراه ناقصا فيما كتبوه، ونسهل ما صعب فهمه من كلامهم، ونصحح ما نرى فيه من أخطاء، نسأل التوفيق، وأن يهدينا سواء السبيل.

خذوا حذركم ٢
تسهيل بلا تعطيل

يمكننا تشبيه الإجراءات الأمنية الوقائية، أو "الأمنيات"، بالدرع التقليدي الذي يُنصب للدبابة لوقاية الجنود داخلها وأجزائها الحساسة من القذائف المعادية.

ومعروف أن قدرة هذا الدرع على التصدي للقذائف ومنع أذاها من بلوغ العناصر التي نُصب الدرع لحمايتها تزداد كلما كانت مادته الأولية أكثر صلابة، أو كان أكثر سماكة، بحيث يتناسب مقدار السماكة المطلوبة عكسا مع صلابة المادة، فكلما كانت مادة الدرع أصلب احتيج إلى سماكة أقل من الدرع للقيام بالمطلوب، والعكس بالعكس.

وفي الوقت نفسه فإن مصمم الدبابة يجب أن يراعي الوظيفة الأساسية للدبابة وهي أن تدبَّ على الأرض، فتتحرك، ناقلة مدفعها والجنود داخلها في ساحة المعركة بحيث تحقق الفائدة المرجوة من صناعتها وتوظيفها في القتال، في الاقتراب من الأهداف المعادية بدرجة كافية لاستهدافها وتدميرها.

وبالتالي يجب عليه الموازنة بين قوة تصفيح الدبابة وقدرتها على الحركة والمناورة، إذ إن قوة التصفيح التقليدي تعتمد على سماكة الدرع بدرجة أولى، وهذه السماكة ترتبط بثقل مادة التصفيح، وبالتالي إذا أراد المصمم زيادة سماكة الدرع أخذ في حسابه الثقل الإضافي المركب على جسم الدبابة، وما يتطلبه ذلك من قوة إضافية ضرورية لدفعها، يجب تأمينها من خلال زيادة قوة محرك الدبابة، وإلا حولت زيادة ثقل الدرع بدون هذا الحساب إلى مجرد حصن ثابت قادر ربما على حماية الجنود من كل أنواع القذائف، ولكنه عاجز عن التحرك من مكانه، فهو مجرد موقع دفاعي لا أكثر.

خلية عاملة لا خلية نائمة

ومن هذا المنظار يمكننا النظر إلى أي عنصر من عناصر العمل الجهادي، فإن وظيفته الأساسية هي تحقيق الهدف المطلوب منه، وما السعي إلى تأمينه -من المنظور العملي- إلا لكي يستمر في أداء وظيفته، بالإضافة إلى كونه متعلقا بنفوس مسلمة وأموال للمسلمين يجب حفظها، وأما أن تؤدي زيادة إجراءات التأمين إلى تقييد قدرة العنصر على الحركة لإنجاز المطلوب منه، فإن هذه الإجراءات تتحول إلى أداة تعطيل للعمل الجهادي، بدل أن تكون أداة تسهيل له، من خلال حمايته مما قد يؤثر على نجاحه واستمراريته وقدرته على النمو.

ومن المعروف أن الجهاد كله قائم على تعريض النفس والمال للخطر، بالإضافة إلى ما يتطلبه من الجهد والمشقة الكبيرَين اللذَين لا يقوى عليهما إلا أولو العزم من المؤمنين المستعدّين لبذل ذلك كله في سبيل مرضاة ربهم، ولذلك كله جعل الله -تعالى- الجهاد ذروة سنام الإسلام، وفضَّل المجاهدين على القاعدين من المؤمنين، واختص من يُقتل منهم بمرتبة تأتي بعد مرتبة النبوة والصديقيّة، وهي الشهادة، وقد قال ابن القيم: "من تعبد الله بمراغمة عدوه، فقد أخذ من الصديقية بسهم وافر"، فقد يجمع المجاهد المرتبتين اللتين تليان مرتبة النبوة.

وبالتالي فإن من يراغم أعداءه الكافرين فلا بد أن يعرف يقينا أنه أصبح هدفا لهم، يستهدفونه ليثبطوه عن قتالهم، فإن أبى إلا طاعة ربه ومضى في جهاده أصبح هدفا للقتل أو الأسر أو الكسر أو البتر، وذلك لإخراجه من ساحة المعركة بينهم وبين أولياء الرحمن، أو للاستفادة منه في الإضرار بصف المجاهدين عن طريق تحصيل ما لديه من معلومات عنهم، أو حتى العمل على تجنيده بالترغيب أو الترهيب ليكون عنصر اختراق لصفوف المسلمين يعين المشركين عليهم.

ولهذا فإنه يجب على المجاهد في سبيل الله أن يضع نصب عينيه واجبَين أساسيَّين ينبغي عليه أداؤهما بشكل متزامن، أولاهما تحقيق أهداف الجهاد، وثانيهما تأمين صف المجاهدين من كل خطر قد يتعرض له، ومن ذلك تأمين نفسه، والمعلومات والموارد التي بحوزته، وإخوانه المرتبطين به، والعمل الذي يقوم عليه، فهذا مطلوب منه بالدرجة الأولى، فضلا عما يشمله من الواجبات التي تعم كل المجاهدين، بل وكل المسلمين أحيانا.

وإن كان تأمينه متعلقا بقيامه ببعض الإجراءات، فإن القيام بها يكون واجبا عليه، لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ولكن كما قلنا سابقا، فإن هذا الواجب الثانوي يجب أن لا يطغى على الجانب الأساسي المتمثل بنجاح العمل الجهادي في أداء وظائفه، أما أن تؤدي مساعي المجاهد إلى تأمين نفسه وعمله إلى قعوده عن الجهاد في سبيل الله، أو تعطيل الجهاد، فإن هذا فتنة وضلال، وإلا فما يعيق أكثر المسلمين اليوم من الجهاد إلا حرصهم على تأمين أنفسهم ومنافعهم من الأخطار اللازمة للجهاد في سبيل الله، إذ لا يمكن أن نعتبر تأمين هؤلاء القاعدين لأنفسهم نجاحا وفلاحا، بل هو فشل وخيبة لهم في الدنيا والآخرة، لأنه عطلهم عن القيام بواجب مفروض عليهم، يترتب على تركه عذاب في الآخرة، وذل وتسلط للكافرين عليهم في الدنيا.

وهذا الفخ قد وقع فيه -للأسف- بعض من يحسنون الظن بأنفسهم، ممن استهواهم الشيطان ولبَّس عليهم، فصاروا يحسبون أي تحرك للجهاد في سبيل الله رعونة وتهورا وإهلاكا للنفس، ويسمُّون قعودهم عن الجهاد وتقاعسهم عن واجباتهم حكمة وحرصا، في الوقت الذي يسمِّي نفسه "خلية نائمة" للمجاهدين، وربما صدق في هذه فهو نائم حقا، وربما لن يستيقظ أبدا إلا أن يتغمده الله برحمته.

وبالتالي يجب على كل مجاهد في سبيل الله أن يعتبر نفسه "خلية عاملة" في جسد المجاهدين، فإن تطلب الأمر تحول إلى "خلية كامنة"، لا أن يكون "خلية نائمة" لا فائدة منها، بل هي حمل زائد على المجاهدين أحيانا تستهلك مواردهم دون تقديم فائدة مضافة إليهم.

خلية آمنة لا خلية خطرة

ومن كل ما سبق يمكننا اعتبار كل عنصر من عناصر العمل الجهادي، سواء كان فردا أو كيانا أو نوعا من التجهيزات والمعدات، بمثابة آلية لها وظيفة في المعركة، يجب الموازنة في تصميمها بين قدرتها على الحركة وأداء الوظيفة المطلوبة منها، وبين تكاليف تأمينها الضرورية للحفاظ عليها لتتمكن من أداء تلك الوظيفة.

وكلما كانت هذه الآلية معرضة لخطر أكبر أثناء أدائها لوظيفتها، تطلب الأمر تدريعها بشكل أفضل، وبذلك يتنوع التأثير على قدرتها على الحركة، أو أداء الوظائف المطلوبة منها، وبهذا يوازن القائد بين احتياجه إلى آلية سريعة الحركة مريحة للراكبين، ولكنها ضعيفة الحماية، وبين أن يزيد وسائل الحماية فيها، مع التضحية ببعض الإمكانيات الأخرى كالسرعة والراحة مثلا.

وهكذا نجد المشكلة المتعلقة باستثقال كثير من المجاهدين الحريصين على إنجاز أعمالهم بسرعة للإجراءات الأمنية، فهم يرونها معيقا لهم، تبطئ وتيرة العمل، وتحمله تكاليف إضافية يبخلون بها أحيانا، وتقصر مواردهم عن تأمينها في أحيان أخرى، ولذلك يتهاونون في هذا الجانب، ظانين أن ذلك من التوكل على الله، وهم واقعون غالبا في معصية أمرائهم، وتعريض أنفسهم وإخوانهم وعملهم للخطر، بسبب تهاونهم في الأخذ بأسباب الأمن.

ولا شك أنه كلما قلت تكاليف العمل الجهادي وتحسنت سرعة إنجازه فهذا أفضل، ولكن بدون أن يؤدي التركيز على هذا الجانب إلى إهمال سلامة العمل ككل، وتعريضه للفشل التام، بالتغافل عن المخاطر التي قد يتعرض لها، بتهديد العناصر التي تحقق أهدافه بمجموعها، إذ يمكن أن يؤدي تمكن العدو من تدمير أو تحييد أي من عناصره إلى تعطيل العمل الجهادي، بل وتدميره كليا إلى درجة تمنع من استعادة زخمه إلا بتكاليف عالية تفوق بكثير التكاليف التي كان يمكن بذلها على تأمينه.

فإذاً لا يكفي أن يكون المجاهد "خلية عاملة" في الجسد الجهادي، وإنما ينبغي أن يحصن نفسه ليكون "خلية عاملة آمنة"، يصعب على العدو تدميرها، أو النفاذ من خلالها إلى هذا الجسد، أو حتى تحويلها إلى خلية سرطانية مدمِّرة للجسد كله من داخله.

اتقوا الله ما استطعتم

فهذه الموازنة بين ضرورة العمل لإنجاز المطلوب، وضرورة حماية العمل والقائمين عليه من الأخطار المصاحبة لأعمالهم، هي من أهم الأسس التي ينبغي مراعاتها في وضع الإجراءات الأمنية، وتنفيذها، والأمر بالالتزام بها من قبل الأمراء والجنود على حد سواء.

ورأس الأمر -ولا شك- هو تقوى الله عز وجل، ومفتاحه قوله تعالى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُم} [التغابن: ١٦]، فالمجاهد يبذل أقصى ما يستطيع من جهد في إنجاز عمله، كما يتخذ أقصى ما بيده من إجراءات أمنية، ولا يفرط في كلا الأمرين بشيء، وفي النهاية يضع دائما في حسبانه قوله تعالى: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} [البقرة: ٢٨٦]، فكل ما في وسعه من الواجبات هو مكلف به، عاص لله بتركه، مستحق للوم والعقوبة، ومن قصَّر فليتب إلى الله تعالى، وليصلح عمله، ويسأل الله الإعانة على نجاح عمله، والوقاية من أذى أعدائه، والحمد لله رب العالمين.

خذوا حذركم ٣

العمل من خلال خطة العدو

في حملات التوعية من الأمراض نجد أن إجراءات الوقاية التي تنصح الجهات الصحيَّة باتباعها لتجنب العدوى من مرض ما لا بد وأن يكون فيها اختلاف عن تلك التي تنصح باتباعها لتجنب العدوى بمرض آخر، وذلك اعتمادا على معرفة علماء الأحياء بنمط حياة كل فيروس داخل الجسم الذي يتمكَّن منه، وطريقة انتقاله إلى الأجسام السليمة الأخرى، وتعرفهم بذلك على الإجراءات التي قد تقلل من فرص وصوله إلى الجسم عبر المنافذ التي يمكنه اختراقها.

وعلى هذا الأساس أيضا يبني علماء الأمن الإلكتروني الخطط الأمنية لتأمين الحواسيب والشبكات من الفيروسات الإلكترونية التي قد تغزوها، أو المخترقين الذين قد يحاولون الولوج إليها بنية التجسس أو التخريب، وذلك بناء على دراسة أساليب عمل المخترقين، وآلية عمل الفيروسات، وبالتالي اعتماد خطط مضادة لها، تقوم على تحصين نقاط الضعف، وسد الثغرات، ووضع آليات للتنبيه عند حدوث هجمات، لتبدأ الإجراءات الدفاعية من قبل المختصين في أمن المعلومات للشركة أو المنظمة.

وبالمثل نجد أن أجهزة المخابرات الخبيرة تبذل كل ما تستطيع من إمكانيات لفهم خطط أعدائها الهجومية من المجاهدين مثلا، وطرقهم في تحصيل الموارد اللازمة، وتأمين الاتصالات، وتمويل العمليات، وأساليبهم في تنفيذ الهجمات، عبر التجسس عليهم، واستنطاق المعتقلين منهم، وذلك كله من أجل وضع تصور شامل لآلية عملهم، ومعرفة الثغرات التي قد ينفذون من خلالها، ونقاط الضعف التي قد يعتمدون عليها، وبالتالي وضع خطط معاكسة، تقوم على إجراءات مضادة تتضمن تحصين الثغرات، وتقوية نقاط الضعف، ووضع مؤشرات لاحتمالات شروع المجاهدين في الهجوم أو تحضيرهم له، ومن خلال هذه الإجراءات الوقائية ترتفع احتمالات إحباط أي هجوم معادٍ، ولذلك فإن أكبر العمليات الجهادية نجاحا تأتي من أساليب جديدة لم تتوقعها أجهزة الأمن، وبالتالي لم تتخذ الإجراءات الوقائية المضادة لها.

اعرف عدوَّك...

وهذا هو جوهر عملية التأمين، التي هدفها الأساسي هو تحقيق الأمن من خطر ما أو من جميع الأخطار المتوقعة، وبالتالي يجب لتحقيق الأمن من كل نوع من الأخطار أن نتمكن أولا من معرفة هذا الخطر، وجهته، وآليته في الإضرار بنا أو بمصالحنا، ومدى الضرر الذي يمكن أن يحدثه.

ومن خلال معرفة هذا الخطر وتحديده نتمكن من تقييمه بشكل واقعي، يمنعنا من التهاون فيه، أو الإفراط في التحسب له، ومن خلال تحديد جهته يمكننا دراسة قدرة هذه الجهة على إحداث الخطر، أو الاستفادة من حدوثه في تهديد ما، وكذلك يمكننا معرفة الإجراءات الكفيلة بمنع هذه الجهة من التفكير في إحداث الخطر، أو الاستفادة منه، وذلك بناء على خصائص هذه الجهة، وآلية عملها في إحداث الخطر.

وبناء على معرفة آلية الخطر في الإضرار بنا، ومدى الضرر المتوقع منه، يمكننا تحديد نوع وحجم الإجراءات الوقائية اللازمة لمنع حدوث الضرر، أو امتداده إلى مستويات لا تنفع معها إجراءات الدفاع والإصلاح التي يمكن اتخاذها.

وهكذا يجري وضع خطة الوقاية من الخطر، أو خطة التأمين، بناء على المعرفة الدقيقة لخطة هجوم العدو، على اختلاف أنواع الأعداء، ومدى قوتهم، وأهدافهم، وطرائقهم في التخطيط للأعمال المعادية وتنفيذها.

وبمقدار الجهل بهذه الخطة، سواء كان جهلا بسيطا بانعدام أي تصور لهذه الخطة، أو جهلا مركبا بوجود تصور خاطئ لها، فإن إجراءاتنا الأمنية تفقد جدواها، بل وقد تتحول إلى جزء من خطة الهجوم التي يعدُّها هو بناء على اكتشافه للثغرات في إجراءاتنا الأمنية، ونقاط الضعف فيها، واستفادته من ذلك في تحقيق أهدافه.

ومن أخطر الأمور على المجاهد أن يستنسخ الخطط الأمنية لنفسه أو لعمله دون مراعاة لتغير نوع العدو، أو الظروف التي يعمل بها، أو مدى معرفة أعدائه بالإجراءات التي يريد اتخاذها لتحقيق الأمن، أو قدرتهم على إحباط تلك الإجراءات واختراقها، بل ووضع خططهم الهجومية بناء عليها.

تجديد الخطة الوقائية

ويمكننا أن نضرب مثالا ببعض ما حلَّ بالمجاهدين من كوارث نتيجة لهذا الخطأ، فمنذ بدأت عمليات استهداف المجاهدين بالطائرات المسيرة، أصبح من المشتهر بين الناس أن المخابرات الأمريكية تتعقب المجاهدين بالاعتماد على أجهزة تحديد المواقع التي تحملها هواتفهم الجوالة، أو عبر تتبع الذبذبات الصادرة من أجهزتهم للاتصال بشبكات الـ WiFi أو الـ GSM، وكان الإجراء الأول الذي اتخذه المجاهدون، هو قطع بث أبراج شبكات الهاتف الجوال GSM، والتعميم بمنع وضع نواشر شبكات WiFi وأجهزة الاتصال الفضائي في المنازل أو المقرات السرية.

وهذه الإجراءات وإن كانت ضرورية وكان لها فائدة في تقليل المخاطر، إلا أنها فقدت كثيرا من جدواها بمجرد أن أدرك العدو اتباع المجاهدين لهذه الإجراءات الأساسية، وبإدراكه أن كثيرا منهم باتوا يَلجون إلى شبكة الإنترنت من خلال المقاهي العامة، لكونها تضم تجمعا كبيرا من الناس، وبالتالي فإنها تكون أقل رقابة من شبكات الإنترنت الخاصة بالمجاهدين، فأضاف الصليبيون هذه البؤر على خططه الهجومية، ووجدنا حالات كثيرة لتوظيف الجواسيس من العاملين في هذه المقاهي، أو روادها، الذين كانوا يتعرفون على المجاهدين من خلال الصور التي تردهم من مشغليهم، وإبلاغهم بمجرد دخول الأخ المطلوب إلى المقهى أو خروجه منه، ثم يتعقبه جاسوس آخر على الأرض، أو طائرة مسيرة في السماء، لمتابعة خط سيره، وتحديد المواقع التي يرتادها، أو لاستهدافه بالقصف وقتله، كما رأينا في كثير من الحالات، وخاصة مع المهاجرين من الدول الأوروبية.

بل وكشفت وسائل إعلام أن المخابرات الصليبية صارت تستخدم أجهزة بث تلك المقاهي (الراوترات) كمزارع للفيروسات الإلكترونية، تقوم بزرعها في أي جهاز هاتف يتصل بها، ثم تبدأ عملية التجسس وتحديد الأهداف المطلوبة للتعقب بالاعتماد على بث شبكة اتصال الهاتف نفسه.

في بناء الخطة الهجومية

وبالمثل فقد وجدنا من وفقه الله من المجاهدين يستخدمون معرفتهم بالإجراءات الأمنية التي يتخذها أعداؤهم في تنفيذ أهدافهم، وذلك بعد دراسة تلك الإجراءات دراسة وافية، تمكن من فهم طرائق العدو وأساليبه والتغيرات فيها، وبالتالي وضع خطة الاختراق والهجوم بناء على نقاط الضعف أو الثغرات التي يكتشفها عناصر الرصد في تلك الإجراءات، ولذلك فإنك تجد أحيانا أن بعض عمليات المجاهدين التي تحقق نجاحا كبيرا، تتسم ببساطة شديدة، وتكاليف قليلة، قد تدفع إلى الاعتقاد بأنها جريئة للغاية، ومتهورة أحيانا، بل قد تدفع بعض الجهلة إلى التشكيك في الأمر.

وهكذا نسمع كثيرا من هؤلاء وهم يحللون العمليات يبينون مدى استحالة اختراق الإجراءات الأمنية، لكثافتها وتعقيدها، وهم لا يدركون أن السر في نجاح العمل -بعد توفيق الله تعالى- ربما يتعلق بعين ثاقبة لمجاهد خبير درس تلك الإجراءات واكتشف الثغرات التي يمكنه استثمارها في إنجاح خطته، بل ووضع خطة هجومه كلها على أساس خطة الإجراءات الأمنية الوقائية للعدو.

وبالتالي فإن العمل الاستخباراتي الهادف إلى معرفة خطط العدو في الهجوم، لاتخاذ الإجراءات الوقائية والدفاعية المضادة لها، ومعرفة خطط العدو في الوقاية والدفاع واكتشاف الثغرات فيها، لاتباع الطرائق والأساليب الكفيلة باختراقها والتغلب عليها، ووضع خطط الهجوم بناء على ذلك، يوفر كثيرا من العناء والتكاليف والتجارب الفاشلة التي يدفع المجاهدون ثمنها من دمائهم أحيانا.

وهذا الأمر كله يزيد من أهمية عمليات جمع المعلومات عن العدو لمعرفة خططه الهجومية والدفاعية والوقائية، ثم تصميم خطط الوقاية على أساس خططه الهجومية، وخطط الهجوم على أساس خططه الدفاعية والوقائية، مع الأخذ بالاعتبار ردَّة فعله على الهجوم الذي سيتعرض له.

هذا والله أعلم، والحمد لله رب العالمين.

خذوا حذركم ٤

ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك

استكمالا لما تحدثنا عنه في الحلقة الماضية عن ضرورة بناء المجاهد خططه كلها على أساس معرفته بعدوه وخططه، نبحث اليوم في بعض من أهم الإجراءات الوقائية التي تتبعها أجهزة الأمن والمخابرات الكافرة لمنع الهجمات المعادية للأنظمة التي تخدمها، بل وقبل أن يفكِّر بالقيام بها من يحملون العداء لتلك الأنظمة.

وقصدنا هنا سعيهم الدائم لأسر المجاهدين أو قتلهم، أو دفعهم للفرار من أرضهم خوفا من الأسر أو القتل، هذا من جانب، ومن جانب آخر استخدام ما يفعلونه بالمجاهدين في إرهاب غيرهم، ومنعهم من مجرد التفكير في أن يحذوا حذو المجاهدين، أو يقتفوا آثارهم، مخافة أن يصيبهم ما أصابهم على أيدي المجرمين، فهم يسعون دائما لتحقيق هدفي الأسر والتثبيط، لينجزوا بذلك وظيفتهم في ضمان أمن الأنظمة الطاغوتية والمشركين الذين يسهرون على حمايتهم ورعايتهم.

أسرك أنفع لأعدائك

فعلى الجانب الأول تبذل مخابرات الطواغيت كل جهدها في سبيل معرفة كل عازم على جهاد المشركين، والتحقق من مدى الخطر الذي يمثله، وكشف ارتباطاته بجماعة المسلمين، أو غيره ممن هم على فكره فضلا عمن انتقل إلى ميدان العمل، بهجرته إلى دار الإسلام، أو التحاقه بالمجاهدين، وذلك كله من أجل منع هذا المجاهد من أن ينفذ ما عزم عليه، فيحدث نكاية في المشركين، وذلك عن طريق اعتقاله، أو قتله إن قاوم الاعتقال، ورفض الاستئسار، ودرء الضرر المتوقع منه بذلك، وفي بعض الحالات يكتفي الطواغيت بالضغط على من يريدون منعه من إلحاق الضرر بهم وتخويفه من الاعتقال دون فعل ذلك، لدفعه إلى الهرب من تحت سطوتهم، فيكون جهاده لغيرهم من المشركين لا لهم.

وتركيز الطواغيت وأجهزة أمنهم على الأسر أكثر من القتل والنفي، لأنه فيه فوائد عظيمة لهم تفوق ما يتحقق من القتل أو النفي، فبأسر المجاهد يمكنهم تعذيبه وإهانته لتحصيل ما عنده من معلومات يمكن أن يضرَّ بالإدلاء بها نفسه أو إخوانه، ومن خلال هذا التعذيب والإهانة يسعون إلى كسر نفسه وإخضاعه، ودفعه إلى التراجع عن طريق الخير الذي هداه الله إليه، ثم يمكنهم استخدام أخبار التعذيب والقهر التي تتسرب إلى خارج السجون في إرهاب الناس وتخويفهم من طاعة ربهم، ودعوتهم إلى عبادة الطواغيت من دون رب العالمين خوفا ورهبا.

لا تأمن مكرهم

وإن كان الغالب على أساليب أجهزة الأمن أنها تسعى إلى معرفة العناصر التي تشكل خطرا على الأنظمة عن طريق مراقبة المشبوهين، واختراق صفوف المعادين، وكشف علاقات وارتباطات الملاحَقين، فإن هذه الأساليب تستخدم ضد من انكشف أمره إما بمجاهرته بالعداء للطواغيت، أو التحريض على جهادهم، أو بمجرد إظهار الموالاة للموحدين والسعي في نصرتهم بالكلام أو المال أو الفعل، أو بمعلومات عنه تصلهم من المخبرين، أو ينتزعونها من المعتقلين.

فإن لهم أيضا فخاخا ومصائد ينصبونها لمن لم ينكشف لهم أمره بعد من الموحدين، تقوم على فسح مجال من الحرية الموهومة تفتحه أجهزة الأمن بين كل بضعة سنين، تتفاوت بين جهاز أمن وآخر، يتجنب فيها الطواغيت اعتقال الشباب غير الفاعلين، وإن اعتقلوهم فلفترات محدودة يطلق سراحهم بعدها بمجرد التأكد من عدم خطورتهم الحالية.

وتظهر أنظمة الطواغيت في هذه المرحلة أنها قررت تغيير سياستها مع الموحدين، أو أنها تريد الاستفادة منهم للتصدي لعدو خارجي أو داخلي، أو أنها مشغولة عنهم بقضايا أكبر، وقد يكون بعض ذلك حقيقة، فينخدع بهذا الفخ الكبير مئات، بل آلاف من الشباب أحيانا، فيظهر من كان مستورا، ويجاهر من كان مستخفيا، وتنشط الدعوة، وكل ذلك تحت سمع وبصر الطواغيت الذين لا يحركون ساكنا، بل يدفعون أحيانا باتجاه تنشيط هذا الأمر أكثر، لتخصيب ما زرعوا وزيادة حجم الثمرة التي ينوون قطافها حين يحين أوانها.

ثم يفاجأ الناس بالحملات الأمنية الشاملة التي تشمل أحيانا كامل البلاد، وتتعاون فيها كل أجهزة الأمن، لاعتقال كل من يتوقع أنهم يشكلون خطرا ما على المشركين وأوليائهم، فتعود الساحة بعد هذه الحملات وكأنها لم تغن بالأمس بالدعاة والمحرضين على الجهاد، والمظهرين للكفر بالطاغوت، الذين سيتحولون إلى حبيسي سجون، ومن نجا منهم فإنه يبادر إلى تغيير مظهره، ويدخل في حالة كُمون قد لا يخرج منها أبدا إن لم يتغمده الله برحمته.

أو قد تدفع الأحداث المتسارعة بعضهم إلى استعجال أعمال كانوا يخططون لها، وتنفيذها بأقل ما يجب لها من استعدادات مما يؤدي أحيانا إلى فشلها، وتمكن أجهزة أمن الطواغيت من إظهار نفسها بالقبض عليهم أو قتلهم بهيئة المنتصر، وتصور كل من اعتقلتهم على أنهم كانوا يجهزون لعمليات "إرهابية" في حين يكون بعضهم ممن لم يبلغوا بعد مرحلة التفكير في جهاد الطواغيت.

درس من أخطاء بعض الموحدين في الشام

ويمكننا أن نستشهد على كلامنا بما حدث في الشام مع بدايات الجهاد في العراق، فقد غضَّت أجهزة الأمن النصيرية الطرف عن كثير من الشباب المتطلع لنصرة المجاهدين في العراق، فانغمس المئات من الشباب في الشام في دعم المجاهدين في العراق، وكان أغلبهم للأسف لا يرى في الإجراءات الأمنية مشقة "لا داعي لتحملها" طالما أن مخابرات الطاغوت تتركهم وشأنهم، وارتبط بهؤلاء أيضا كثير من الشباب الذين لم يكونوا يقومون بأي نشاط حقيقي لنصرة المجاهدين رغم مناداتهم بالجهاد وعدّ أنفسهم في عداد المناصرين للمجاهدين.

فلما أُعلنت دولة العراق الإسلامية، قررت المخابرات النصيرية القيام بحملة واسعة في كل المناطق حصدت من خلالها ثمارا كبيرة تمثلت باعتقال ما يقارب الألف من العاملين في نصرة الجهاد في العراق والمرتبطين بهم، بل وممن لا شأن لهم بالأمر كله، كغلاة المرجئة الذين يزعمون السلفية ولا يعرفون منها سوى مجادلة الصوفية والرافضة اتباعا لمشايخهم من علماء السوء في جزيرة العرب.

ولم ينج من تلك الحملة التي أطلق عليها النظام (قضية جند الشام) من العاملين في نصرة جهاد العراق إلا من عصمه الله بالاحتياط من مكر الطواغيت، أو فرَّ بدينه إلى المجاهدين قبل أن يتمكن المرتدون من أسره.

وقد أثرت تلك الحملة كثيرا على طرق إمداد المجاهدين في العراق، كما أنها أضعفت مشاريع الجهاد في الشام، وكان يمكن -بإذن الله- الاستفادة من الفوائد الكثيرة لتلك المرحلة مع الاحتياط لتخفيف ضررها المتوقع، لو لم يقع أكثر المجاهدين في فخ المخابرات النصيرية، فيأمنوا جانبها ويغفلوا عن الحذر منها، وينسوا أنها أشد عداوة لهم من الصليبيين ولو أظهرت تركها لحربهم مؤقتا.

كما أراد الطواغيت من هذه الحملة إرهاب كل من لم يكتشفوا أمره من المجاهدين ليكف عن فعله قبل أن يكتشفوه، وتخويف غيرهم من المصير الذي يمكن أن يلاقوه إن أعانوهم أو تعاطفوا معهم، وربما يكون هذا الجانب أخطر في آثاره من الآثار المباشرة للاعتقال، إذ أنه يتعلق بملايين المسلمين، في حين أن الاعتقال وآثاره قد تنحصر بالمعتقلين وأسرهم والقريبين منهم، وهو ما سنبحثه -بإذن الله- في الحلقة القادمة من هذه السلسلة.

إن من واجب كل مسلم أن يضع عداوته للطواغيت وأوليائهم وأجهزة أمنهم دائما نصب عينيه، ويعاملهم على أساس هذه العداوة، ويعلم أنهم يكنون له من العداوة أضعاف ما في صدره لهم، فيحذر منهم، ولا يأمن مكرهم، ويتذكر قوله تعالى: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} [الأنفال: ٣٠]، فلا يُعينهم على نفسه بترك جانب الوقاية من أذاهم، فيمكّنهم من أسره أو قتله، ويستعين بالله عليهم ويتوكل عليه في حفظه ورعايته، وعلى الله فليتوكل المؤمنون.

خذوا حذركم ٥

قيود الوهم

تحدثنا عن أحد أهم أساليب أجهزة المخابرات التي تستعملها في الكشف عن العناصر المعادية، أو التي يتوقع تحولها إلى معادية، وهي إغراء المختفين ليظهروا، ودفع من لا زال في مرحلة التفكير لأن ينضج قليلاً تحت سمعهم وبصرهم، وتركهم يتحركون ضمن حدود معينة، ثم الإجهاز عليهم قبل أن يتحولوا إلى تهديد حقيقي على الأنظمة، وذلك بشنِّ حملات حصاد للثمار التي أينعت، وإبطال تهديدها باعتقال من انكشف خطره على النظام، أو قتله، أو دفعه إلى الفرار والخروج من الأرض.

ولعل هذا البيان قد لقي استحساناً عند بعضٍ ممن لم يدرك غايته، وخاصة أولئك الذين لبَّس عليهم الشيطان فصوَّر لهم جبنهم وتخاذلهم حكمة ووعياً، وكل إقدام وعزيمة من غيرهم تهوراً وحماقة، ولذلك تجدهم في كل فرصة يهيئُها الله للمجاهدين ينطلقون ليشنعوا على من يسعى لاستغلالها في إحداث تقدم أو جني مغنم، ويتهمونه بالغباء والعمى واتباع استدراج الأعداء له، فكل الفرص عنده كمائن، وكل مغنم عنده طُعم يجذب الفريسة إلى الفخ الذي نصب لها.

وغاية ما يفعله هؤلاء "النظَّار" أن يراقبوا العاملين ويتصيدوا أخطاءهم ليشهروا بهم بين الخلائق، ويترقبوا أن تحل بهم مصيبة تنزل على قلوبهم كالماء البارد في اليوم الحار، ففيها المنجى من لوم النفس وذمِّ الآخرين، بل هي الفاتحة لذمهم للمجاهدين على تحركهم وأدائهم ما وجب عليهم، بأنه سبب انكشافهم وتعرضهم للاعتقال أو القتل، وأنهم بتحركهم كانوا ينفذون خطط المخابرات لكشف المجاهدين المجهولين لديهم.

يقوم هؤلاء بتخذيل المجاهدين فيحققون الهدف الأكبر للطواغيت وأجهزة مخابراته، الذي يفوق في فائدته اعتقال المجاهدين أو قتلهم، فلا شك أن إقناع المجاهدين بترك الجهاد هو أنفع للمشركين من قتالهم، فالأول وقاية لهم والثاني دفاع، والوقاية أجدى من الدفاع وأقل تكلفة ومشقة.

فلا تخشوهم

فنحن نرى الطواغيت وأجهزة مخابراتهم يبذلون كل ما بوسعهم لتخويف المسلمين من قتالهم، وترهيبهم من العمل بما أمرهم ربهم، ويستخدمون في سبيل ذلك مزيجاً من الحقائق والأكاذيب للتأثير على عقولهم، وتنشيط عمل المخذلين فيما بينهم، وذلك لإقناعهم بأن لا جدوى من التحرك ولا فائدة من الإقدام، فالمخابرات تعلم كل شيء، وهي قادرة على كل شيء، والعياذ بالله.

وأكبر مثال على هذا ما نجده من حملات دعائية ضخمة تشرف عليها أجهزة المخابرات ترافق حملات الاعتقالات، أو عملية اعتقال لمجاهد أحياناً، مع الزعم أن هذا المجاهد كان تحت المراقبة، ثم تعرض له صوراً وإثباتات على تحضيراته للعمل، وتكثر من الحديث عن عواقب اعتقاله عليه وعلى المرتبطين به، وأخبار محاكماته والأحكام القاسية التي صدرت بحقه، وكل هذا يهدف إلى تخويف غيره من المصير الذي سيلاقيه إن قرر اتباع طريقه، فإن كان مستعداً لبذل الثمن سعوا في إقناعه أن لا فائدة من المحاولة، وأنه لن يزيد شيئاً على من سبقه من المجاهدين الذين كانت نهايتهم السجون، ويضعون بذلك في يديه وأرجله قيوداً تقيد حركته، وفي عنقه أغلالاً تمنعه أن يرفع رأسه، وإن كانت قيود السجون وأغلالها حقيقية، فإن قيوده وغله صاغها قلبه الذي أسلمه لدعاية الطواغيت وإرجاف المرجفين، ولا يتطلب كسره أكثر من أن يؤمن بالله حق إيمانه، ويعرف أن المقادير كلها بيده جل جلاله، وأن النصر بيده سبحانه، وأن الله لم يكلفه بأكثر من أداء ما يستطيع من الواجب الذي أوجبه عليه، فإن منعه من بلوغ نهايته مانع، كسجن أو قتل فأجره على الله، وسيلقى الله وقد أعذره.

وقد نجح الطواغيت وأذنابهم في استخدام هذا الأسلوب لتثبيط الشباب عن جهادهم في كثير من البلدان، كما رأينا في جزيرة العرب بعد حملة الاعتقالات الواسعة التي شنتها أجهزة أمن الطاغوت ضد أنصار الدولة الإسلامية بعد فترة تصيد طويلة حتى انكشف لهم المئات من الإخوة الذين قصروا في جانب الاستخفاء عن عيون الطواغيت، ومعهم كثيرون أخذوهم لمجرد الشبهة والإرهاب، ثم رأينا بعد تلك الحملات المتعاقبة جموداً في العمل الجهادي ضد طواغيت الجزيرة، وكان الأولى أن لا تؤثر فيهم حملات الترهيب والتثبيط، وأن يزيدهم اعتقال إخوانهم عزيمة على جهاد المشركين، كما زادهم حذراً من الانكشاف لأجهزة الأمن، وتوقياً من عملائه وجواسيسه.

المخابرات الصليبية وحصاد الوهم

ومن أوضح الشواهد على أن هذه الحملات قائمة على كمٍّ كبير من الوهم، ما نراه واضحاً جلياً من نجاحات للمجاهدين في الدول الصليبية في تنفيذ العمليات الكثيرة وفي مختلف البلدان التي تنشط فيها أقوى أجهزة المخابرات في العالم، كما حدث في بريطانيا وفرنسا وألمانيا وأمريكا وغيرها.

ونجد في أخبار أولئك المجاهدين أن كثيراً منهم كانوا مشتبهاً بهم لدى المخابرات، بل مطلوبين على قوائم الاعتقال أحياناً، وهم موضع تعقب ومراقبة، ومع ذلك مكَّنهم الله من تنفيذ هجماتهم على الصليبيين بنجاح، تحت أعين أجهزة الأمن والشرط وكاميراتهم ومخبريهم، وذلك لأنهم عرفوا أن ما يفاخر به الصليبيون من قوة استخباراتهم وأجهزتهم الأمنية أكثره وهم، والحقيقي منه يمكن دراسته واكتشاف نقاط الضعف فيه، والتغلب عليه بإذن الله، فلم يخضعوا لإرهاب المشركين لهم، وعزموا على دفع الثمن المطلوب لإنجاح العمل الذي ينوون القيام به، وعملوا ما في وسعهم من الإجراءات الأمنية، وتوكلوا على الله -سبحانه- الذي أعانهم على تحقيق مرادهم.

وليست ببعيدة قصة العصبة المجاهدة التي خرجت من ديار الإسلام لتقطع حدود عدَّة دول ثم تدخل إلى فرنسا، رغم أن بعض أفرادها كانوا على قوائم الاعتقال لدى أجهزة أمنها، ثم تمكث أشهراً تستطلع الأهداف، وتضع الخطط، وتُعد العدة، قبل أن تنفذ أكبر الهجمات الجهادية التي شهدتها باريس في تاريخها.

ولم تنفع فرنسا وأخواتها الاستنفارات الأمنية ولا حشد الجيوش في الشوارع لمنع تكرار هجمات باريس الأولى، إذ أعاد المجاهدون الضرب في مختلف العواصم الأوروبية وبمختلف الأساليب موقعين النكاية في أعداء الله حتى في أكثر المناطق حصانة وتأميناً كالمطارات.

ثم وجدنا عشرات المجاهدين المنفردين يتحركون في مختلف البلدان والمناطق ليهاجموا بأساليب بسيطة وأدوات متوفرة في أيدي الجميع أهدافاً كبيرة، ويوقعوا في صفوف المشركين الخسائر الفادحة، ويكرر الواحد منهم خطة أخيه في ظل عجز واضح من أجهزة الأمن الصليبية عن توقع أماكن الهجمات أو مواقيتها، أو تحديد المشتبه بإمكانية تنفيذهم لها، ما أجبرهم على الانتشار في كل مكان وكل وقت في إطار الاستنفارات وخطط الطوارئ المرهقة المكلفة.

احذروا التثبيط

إن نجاح أولئك المجاهدين في تحقيق أهدافهم رغم أنف أجهزة الأمن التي تترصدهم هو نموذج ينبغي على كل المسلمين في العالم أن يحتذوه، بأن يعملوا على أداء ما افترضه الله عليهم من جهاد أعدائهم، ويعدوا لذلك أقصى ما يستطيعون من العدة، وفي الوقت نفسه لا يتركون الحذر من عدوهم، ولا يغفلون عن أسلحتهم ودروعهم التي تقيهم -بإذن الله- أذى عدوهم، وهم في ذلك كله متوكلون على ربهم، مؤمنون بأن كل شيء يجري بمقاديره.

فالمجاهد في سبيل الله يأخذ حذره من كل مكائد أعدائه، سواء منها التي تستهدف بدنه بالقتل أو الأسر أو النفي، أو التي تستهدف قلبه بزرع الشبهات، وإثارة الشهوات، وتسعى من ذلك كله إلى تثبيطه عن الجهاد إن عجزت عن تعبيده للطواغيت أسوة بأغلب من يعيش تحت حكمهم، ويقتات من فتات موائدهم.

ولا ينعزل تأمين الاعتقاد والتصور في هذا الجانب عن غيره من الجوانب التي يسعى المجاهد إلى تأمينها ووقايتها من مكائد أعدائه وشرورهم، فإن مكَّنه الله من النجاة من فخ التثبيط، ودرس بعناية خطط أعدائه وأساليبهم، وعمل على إعداد أقصى ما يستطيع من وسائل الوقاية منها، وتوكل في ذلك كله على ربه، فإن النجاح حليفه والظفر طريقه، بإذن الله، وليكن دليل كل فرد من المجاهدين في هذا الشأن حال أسلافه من الموحدين: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ} [آل عمران: ١٧٣ - ١٧٤].

خذوا حذركم ٦

كاميرات المراقبة والاحتياط منها

نلاحظ في الفترات الأخيرة ندرة أن يقع عمل للمجاهدين في المناطق الحضرية، إلا ويتوفر له تسجيل مرئي التقطته إحدى الكاميرات التابعة للأجهزة الأمنية أو المملوكة من قبل الأفراد، إذ يسارع المحققون بعد أي حدث إلى استعراض تسجيلات كل الكاميرات الموجودة في محيط وقوعه، وذلك من أجل الوقوف على حقيقة ما جرى بدقة بعيدا عن الشهادات المضللة والتصورات الخاطئة، وكذلك محاولة الحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات عن منفذي العمل الذين يمكن أن يظهروا أو آثارهم في موقع العمل.

البحث عن المنفذ

بعد تمكن المحققين من التقاط صور تخص الإخوة المنفذين يجري التحرّي عنهم، وذلك من خلال تعميم الصور على أجهزة الأمن المختلفة سعيا لمطابقتها مع صور لأشخاص معروفين لديهم، أو استخدام البرامج الحاسوبية المتطورة في التعرف على الصور، وفي حال العجز عن ذلك يجري نشر الصور بشكل رسمي من قبل أجهزة الاستخبارات والطلب من الناس التعرف على أصحابها وتقديم المعلومات عنهم، أو تسريب هذه الصور عن طريق الصحافة لذات الغرض.

وكذلك الأمر بالنسبة للعربات المستخدمة في الهجوم، وذلك بالبحث عن عائدية العربة في حال التمكن من التقاط أرقام لوحاتها، أو خصائص مميزة لها، تمكن من تقليل عدد الخيارات بخصوص العربات المشابهة لها.

هذا بالنسبة لاستخدام الصور المأخوذة من كاميرا مراقبة واحدة، ولكن أمر التحقيق يتوسع بحثا عن الطريق الذي سلكه المنفذون وصولا إلى نقطة الانطلاق التي قد تساعد الاستخبارات في تحديد مكان إدارة العمل أو أماكن سكن المنفذين أو نقاط تجمعهم قبل تنفيذ العمل.

البحث عن نقطة الانطلاق

وهذا الأمر يمكنهم القيام به بعد تحديد صورة الشخص المنفذ أو العربة التي استخدمت في التنفيذ، حيث يقوم المحققون بمراجعة تسجيلات الكاميرات في المناطق المختلفة عن طريق تتبع الحركة الراجعة للهدف، والبحث فيما التقطته كل كاميرا موجودة في الطريق إلى تنفيذ العمل، والاستمرار في عملية استرجاع الصور حتى الوصول إلى آخر صورة توفرها كاميرات المراقبة، تشير إلى آخر مكان كان يتواجد فيه المنفذون قبل تنفيذ العمل، وربما يصل المحققون بهذه الطريقة في التتبع إلى نقطة الانطلاق الأولى في حال كانت التغطية بكاميرات المراقبة شاملة لا تترك جزءا من المنطقة دون تصوير.

ولإدراك أهمية هذا الجانب في عملية المراقبة الاستخبارية، وتصوّر حجم اهتمام الأجهزة الأمنية بها، يمكن ضرب المثال بحالة بريطانيا التي تشير التقارير إلى وجود قرابة ٦ ملايين كاميرا مراقبة على أراضيها، منها ٥٠٠ ألف كاميرا مراقبة في مدينة لندن وحدها، إلى الحد الذي تفاخر به أجهزة الأمن هناك وتزعم أن كل شخص من سكان لندن إن تحرك في المدينة فإن هناك ٣٠٠ كاميرا تقريبا ستلتقط حركته كل يوم.

نماذج حيّة

وهكذا رأينا هذه الأجهزة بعد عملية مانشستر المباركة تقوم باستعادة صور الكاميرات في المناطق التي مرّ بها الأخ المنفذ -تقبله الله- واستخرجت له صورا وهو يجرّ حقيبة زرقاء كبيرة رجحت أنه نقل بها العبوة الناسفة التي استخدمها في الهجوم، ونشرت هذه الصور في وسائل الإعلام طالبة من الناس تقديم أية معلومات يمتلكونها عن صاحب الصورة، أو الحقيبة الزرقاء التي لم تتمكن من العثور عليها، كما حاولت الاستخبارات من خلال تعقب تسجيلات قديمة معرفة الأماكن التي تردد عليها الأخ خلال الأيام التي سبقت الهجوم في محاولة للاستقصاء عن أشخاص آخرين ربما يكون لهم ارتباط تنظيمي بالأخ المنفذ أو مشاركة في العمل الذي يسّره الله له.

وكذلك في بعض عمليات المجاهدين في بغداد التي نجح فيها الإخوة المنفذون في الانسحاب بسلام من مواقع التنفيذ بعد ركن سياراتهم المفخخة بجوار الأهداف الموضوعة وتفجيرها عن بعد، رأينا استخبارات المرتدين تعرض صورا لمكان التفجير قبل حصوله بثوان لإثبات صورة العربة المفخخة، ثم عرض صور أخرى التقطتها كاميرات المراقبة المنصوبة في الشوارع الرئيسية وقرب السيطرات والحواجز الأمنية في محاولتها تتبع مصدر هذه العربة والوصول إلى مكان انطلاقها الذي يفترض أن يجدوا فيه عناصر التنفيذ أو أدلة تشير إليهم.

مع أننا نجد في غالب الأحيان أن استفادة استخبارات المشركين من إظهار صور الهجوم ونتائجه وتحركات الإخوة المنفذين لا تتعدى جانب الدعاية ورفع اللوم بعد فشلها في منع الهجوم.

الوعي بالمخاطر مقدمة لتجنّبها

وغالبا لا تؤثر كاميرات المراقبة في منع نجاح العمل، إلا في حالة امتلاك الاستخبارات معلومات مسبقة عن شخصيات المنفذين أو المكان الذي سيخرجون منه للتنفيذ أو الآليات المستعملة في التنفيذ أو الهدف المتوقع استهداف المهاجمين له، وبفقدانهم هذه المعلومات تبقى أهمية هذه الكاميرات في عمليات التحقيق اللاحقة للهجوم، في محاولة من أجهزة الأمن للوصول إلى المنفذين من أجل اعتقالهم طلبا للمعلومات التي بحوزتهم، أو لقتلهم منعا من قيامهم بهجمات أخرى.

ولذلك فإنه ينبغي للمجاهدين عند التخطيط لأي عمل الأخذ بالحسبان أمن الإخوة المنفذين للعمل أو المرتبطين بهم، وأمن المقرات المستعملة في التخطيط والتجهيز والإيواء، وهذا يتطلب تخطيط عملية إيصال المنفذين وأدوات التنفيذ إلى موقع الهجوم، وكذلك عملية سحبهم منه بعد التنفيذ أو في حال فشل العمل أو إلغاءه، وذلك بطريقة تمنع من تعقب الآثار أو تضمن تقطيع سبيل التعقب بوضع ثغرات معلوماتية كبيرة في وجه المتبع لتحركات الإخوة.

وهذا الأمر ممكن -بإذن الله- رغم تكلفته نوعا ما، أولا بالسعي إلى منع العدو من الحصول على معلومات عن المنفذين، بتغطية وجوههم أو تغيير ملامحهم قدر المستطاع أثناء التنفيذ بما يحول دون التعرف عليهم، وكذلك تغيير أرقام العربات ومواصفاتها قدر الإمكان لذات السبب.

وبالنسبة لتمويه الطريق يمكن استخدام نقاط انطلاق غير موجودة في نطاق التغطية الأمنية المعادية بكاميرات المراقبة، كالمناطق الريفية والصحراوية، أو استخدام عدة محطات تبديل للعربات بين نقطة الانطلاق ومكان التنفيذ بحيث لا يؤدي كشف نقطة ما إلى الوصول إلى ما بعدها من المحطات الآمنة للإخوة، واعتبار هذه المحطة المعرضة للانكشاف صالحة للاستخدام مرة واحدة فقط، بالاستفادة منها في عمل واحد وتركها تماما بعد انطلاق المنفذين منها.

وفي حال انسحاب الإخوة من الموقع يمكنهم الخروج من نطاق التغطية كاملا (إلى الريف مثلا) ثم العودة من طرق أخرى بعد تبديل الآليات وكل ما يرتبط بالعمل السابق من لباس ونحوه يمكن أن يكون مميزا في صور كاميرات المراقبة.

والأفضل أن يبتدع الإخوة طرقا ووسائل فريدة في كل عمل مما يحقق المطلوب ويجنبهم الأذى والملاحقة.